العرب
الأربعاء 2020/12/23
السنة 43 العدد 11920

حلول مثالية لليبيا

علي الصراف
كاتب عراقي

المناصبُ هي أم المصائبْ في ليبيا، والاصطفافات الجهوية أبوها. وهذا ما قد يؤدي في النهاية إلى تعطل الحل إلى ما لا يعلمه أحد.

والتنافس حول المناصب كان هو السبب الذي عرقل توحيد البرلمان في غدامس، كما عرقل تقدم منتدى الحوار الذي رعته الأمم المتحدة في تونس.

ويعود الإشكال إلى أن النواب وكل أنماط المتحاورين يأخذون بالاعتبار مصالحهم الجهوية أولا، ولديهم أسماءً يريدون فرضها على الآخرين.

النزاع المستمر في ليبيا منذ أكثر من ست سنوات هو نفسه نزاع على المناصب. وقبل ذلك، فإن الانقسامات بين فرقاء الصراع كانت هي الأخرى انقسامات جهوية منذ انهيار النظام السابق. حتى ليبدو أن السبيل الوحيد المتبقي هو أن يكون للبلاد مناصب تكفي لكل الطامعين بها.

وقد يعثر المتنافسون على سبيل لتقسيم كعكة المناصب بما يرضي كل الأطراف المتنازعة، إلا أن واقع انعدام الثقة ببعضهم البعض يجعل السباق على المناصب سباق "حصص" وامتيازات لا سباقا على مراكز المسؤولية لإدارة البلاد. حتى لتقول ضمائرهم: أي بلاد؟

وهذا كله إنما يدور حول سلطة انتقالية تستمر عاما واحدا. ويُفترض أن تنتهي بانتخابات برلمانية تؤدي إلى بناء مجلس رئاسي وحكومة جديدين. فإذا كانت سلطة عام واحد تقود إلى كل ذلك التنازع، فكيف سيكون الحال، مع سلطة تدوم لعدة سنوات؟

بالمعايير الراهنة، فإن هذا سؤالٌ لا يملك إلا جواباً واحداً. هو عودةُ التنازع على أمّ المصائب.

المبعوثة الأممية ستيفاني ويليامز أخرجت كل الأرانب الممكنة من القبعة من أجل أن تقود الليبيين إلى سبيل لتقاسم الكعكة. إلا أنها اصطدمت بحقيقة أن لكل ليبي من المتحاورين قبعة خاصة به، وله فيها أرنب.

والقول إن المتحاورين شخصيات "وطنية"، فيه الكثير من الزيف إلى درجة تثير الغثيان. لأن حرص كل واحد منهم على مصالحه ومناصبه يجعله أمير حرب لا علاقة له بالوطنية، لا من قريب ولا من بعيد. حتى أن "الوطنية" تبدو وكأنها تهمة بعين محازبيه الذين ينظرون إليه على أنه "مصراتي" أو "بنغازاوي" أو "برقاوي" أو "زواوي" وغير ذلك من الانحيازات الجهوية.

ولا توجد قيم وطنية حقيقية في ليبيا. ولكن، ليس لأن الليبيين لم يعرفوها إلا في كلام الآخرين عن أوطانهم، وظلوا يتساءلون ماذا تعني على وجه الحقيقة، بل لأنهم وقعوا تحت سلطة استبداد دفنت فكرة الوطن لتزرع نظرية خضراء في بلد أجدب. فلم تُزهر، ولم تخضرّ أصلا.

وهناك جذور تجعل اللاوطنية هي المعيار الأهم. إذ ما هو الوطن الذي يستورد حتى البيض من الخارج؟ وما هو الوطن الذي تقتصر فيه العلاقة بينه وبين سكانه على استيفاء عائدات النفط وتناهبها؟ وما هو الوطن الذي إذا سافر "المواطن" فيه من بلدة إلى بلدة يعتبر نفسه "مغتربا"؟

ولقد سبق للسيدة ويليامز أن أعدت عدة سيناريوهات للخروج من المأزق، إلا أنها لم تفهم الأساس الذي جعل المتحاورين يتحاورون مع أرانبهم، لا مع بعضهم البعض.

وهناك عدة حلول ممكنة لهذا الوضع.

الأول، أن يتم إعلان ليبيا جمهورية متعددة الرؤساء. وهذا مما يتناسب مع العقلية العامة، حيث يرى كل مصراتي أنه هو الأولى بالرئاسة من أي برقاوي. ويمكن على هذا الأساس أن تكون هناك عدة حكومات وعدة برلمانات تُشبع شهوة السلطة لدى الجميع. وطالما أن النتيجة هي نفسها من حيث تقاسم عائدات النفط، واستيراد البيض من الخارج، فإن وجود عدة رؤساء يتعين ألا يكون سببا للضيق ولا للتنازع.

والثاني، هو إعلان ليبيا دولة سوبر كونفيدرالية، تزعم أنها موحدة، من دون أن يتصرف زعماؤها على أنها كذلك. والسوبر كونفيدرالية تعني ألا يقتصر تقسيم البلاد على ولاياتها القديمة الثلاث، وإنما تقسيم هذه الولايات نفسها إلى مجموعة ولايات "متاخية"، لكل منها سلطتها الخاصة.

والثالث، هو دعوة القبائل لكي تنشئ لنفسها حكومات مستقلة، تتولى إدارة مناطق خاصة بها. ويمكن لهذه القبائل أن تتحالف أو أن تتناحر مع بعضها البعض، من دون أن تطلب أيّ تدخل خارجي.

العنصر الجامع في كل ذلك هو أن تخضع عائدات النفط لإشراف دولي يتكفل بتقسيم المال، بالتساوي على الأفراد. وهو ما يفتح الطريق لحل رابع، هو إلغاء فكرة الحاجة إلى وجود حكومة أصلا. كل ليبي، يأخذ حصته من النفط ليتصرف بها كما يشاء ويُصبح رئيسا على من يشاء. فإذا قيل إنه ستظل هناك حاجة إلى إدارة محلية وخدمات، فهذا أمر يستطيع أن يتنازع فيه أهل كل بلدة مع بعضهم البعض. وسواء اتفقوا أم لم يتفقوا فهذا شأنهم الذي يتعين ألا يتدخل فيه أحد.

بمرور بعض الوقت، وعندما يشبع كل "رئيس" من رئاسته، ويرى الخراب وقد أصبح عاما وشاملا، فإنه يستطيع أن يستخرج نظرية، تقنع مجتمعه المحلي، بأنها صالحة للتطبيق في كل أرجاء المعمورة، وذلك بما أنه استطاع أن يثبت نجاحها حيث يسكن.

توزيع المناصب بين الليبيين يتعين أن يكون كريما وسمحا، بحيث يتاح لكل من يتقدم إلى منصب أن يحصل عليه، من دون الحاجة إلى مؤهلات. إذ ما هي مؤهلات قادة الميليشيات أصلا؟

ثم ألا يطمح كل واحد منهم أن يكون زعيما عالميا ينافس دونالد ترامب؟ ومن هو دونالد ترامب أمام فتحي باشاغا؟ ثم أليس الملازم هيثم التاجوري، زعيم دولة تاجوراء، شخصية تنافس أنجيلا ميركل؟ وألا يضاهي قائد "قوة الردع والتدخل السريع" عبدالغني الككلي (المشهور بلقب "اغنيوة") بخبراته العسكرية أكبر جنرالات الولايات المتحدة؟ وهل يعقل للرئاسة أن تفلت من "قائد لواء الصمود" صلاح بادي، الذي ظل صامدا حتى حسده الرئيس بشار الأسد.

وهناك الكثير من هؤلاء الذين يستحق كل واحد منهم أن يكون قائدا عالميا. ذلك أن بذرة الزعامة العالمية التي زرعها العقيد معمر القذافي تحت رمال ليبيا، وسقاها بالنفط، أينعت قطافا لا عد له ولا حصر.

أي حل لا يأخذ بنظر الاعتبار الحقوق المشروعة لهؤلاء الزعماء في الرئاسة وباقي المناصب الأخرى، فإنه لن يكون حلا عادلا، ولسوف تتوجب مقاومته.

ليبيا لن تكون ليبيا ما لم يكن كل مواطن فيها رئيسا، أو صاحب منصب على الأقل.

عندما تدرك ستيفاني ويليامز هذه الحقيقة، سوف يكون بوسعها أن تُخرج من قبعتها الأرنب (أو السيناريو) الأخير، ليقبل به الجميع: تحويل ليبيا إلى دولة متعددة الرؤساء وكثيرة المناصب.

«حماس» والعداء للفلسطيني المسيحي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تأتي حركة "حماس" كلّ يوم بدليل جديد على أنّها تعمل في خدمة إسرائيل. كان آخر ما أقدمت عليه "حماس"، التي هي جزء لا يتجزّأ من التنظيم العالمي لحركة الإخوان المسلمين، التعميم الصادر عن وزارة الأوقاف في غزة.

نصّ التعميم، الذي يكشف مدى عدائها للفلسطيني المسيحي، على إطلاق سلسلة فعاليات مختلفة تحت بند "الحد من التفاعل مع الكريسماس".

بكلام أوضح، مطلوب ألا تكون في غزّة أي مظاهر تشير إلى وجود عيد الميلاد لدى الطوائف المسيحية. الأهمّ من ذلك كلّه، مطلوب من الفلسطينيين المسلمين الذين يشكلون أكثرية ساحقة في القطاع تجاهل هذا العيد المسيحي الذي لديه تقاليد خاصة به من بينها إقامة شجرة الميلاد وتزيينها.

لم يعد مهمّا ما فعلته "حماس" بعد ذلك. فبعد موجة الانتقادات العارمة التي واجهت قرارها المعادي للفلسطينيين المسيحيين، المغلوب على أمرهم، أصدرت وزارة الأوقاف الحمساوية بياناً توضيحياً أكدت فيه أنها "تتمسك بوحدة الفلسطينيين، معتبرة المسيحيين شركاء في النضال والقضية".

ما حصل قد حصل. هناك رسالة أرادت "حماس" توجيهها لا أكثر. فحوى الرسالة التي نجحت في توجيهها أن على الفلسطيني المسلم أن يكون متزمتا وألا يشارك الفلسطيني المسيحي، وهو مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة، أعياده.

ما لا تدركه "حماس" أنّ الفلسطينيين المسيحيين لا يحتاجون إلى شهادة في الوطنية لا منها ولا من غيرها. كشف ما فعلته أنّها تتصرّف على نسق ما كان يتصرّف النظام السوري في لبنان. كان النظام السوري يصنّف اللبنانيين بين وطني وخائن بهدف إرهاب المواطن العادي. سمعت شخصيا في أحيان كثيرة مسؤولين سوريين يتحدثون على طريقة "صحيح أنّه مسيحي، لكنه وطني". كيف يحقّ لنظام أقلّوي سوري لا يزال يعتاش إلى الآن من الاحتلال الإسرائيلي للجولان، في العام 1967، إعطاء شهادات في الوطنيّة في لبنان وفي غير لبنان. كان يفعل ذلك لتغطية حقيقته التي لا علاقة لها بالوطنية من قريب أو بعيد. كان يفعل ذلك لتغطية حقيقته التي لا علاقة لها بالوطنية من قريب أو بعيد. كان يغطّي عمليا عداءه الأوّل، وهو عداء للسنّة اللبنانيين الذين عمل على شرذمتهم على غرار شرذمته لأهل السنّة في سوريا. ظهر ذلك من خلال ما فعله لدى تغطية اغتيال رفيق الحريري في العام 2005 وقبل ذلك اغتيال المفتي حسن خالد وآخرين. إلى جانب ذلك، اغتال النظام الأقلّوي السوري سياسيا شخصيات مثل صائب سلام وتقيّ الدين الصلح وغيرهما!

يكشف الموقف العدائي لـ"حماس" من عيد الميلاد (الكريسماس)، أي ميلاد المسيح، حقيقة مثل هذه الحركات المتطرّفة التي تدّعي مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، على غرار ادعاء النظام السوري أنّه في قلب "محور المقاومة والممانعة" الذي تقوده "الجمهورية الإسلاميّة" في إيران التي تربطها تاريخيا علاقات أكثر من وثيقة بحركة مثل "حماس". نذرت "حماس" نفسها لسدّ كلّ الأبواب أمام السلام، علما أن اليمين الإسرائيلي تكفل سلفا بالباقي بعدما التقت معه في منتصف الطريق وساهمت في صعوده عبر عملياتها الانتحارية.

ما سعت إليه "حماس" منذ يوم ولادتها، وما زالت تسعى إليه إلى يومنا هذا، يتمثل في تغيير طبيعة المجتمع الفلسطيني حيث لم يكن مطروحا في يوم من الأيّام من هو مسيحي ومن هو مسلم. الأولويّة لدى الحركة هي لتغيير وجه فلسطين ووجه الفلسطيني تحديدا. لذلك تطلق الصواريخ بين حين وآخر في اتجاه أراض إسرائيلية وذلك دعما للشعار الذي أطلقه أرييل شارون في يوم من الأيّام عن "غياب الطرف الفلسطيني الذي يمكن التفاوض معه". إن نظرة إلى تاريخ "حماس"، منذ لحظة إعلان ولادتها في ثمانينات القرن الماضي من أجل وضع العصي في طريق البرنامج الوطني الفلسطيني، تعطي فكرة عن الهدف الحقيقي للحركة. الهدف واضح كلّ الوضوح. على العالم النظر إلى الفلسطيني من خلال ذلك المقنع الذي يحمل السلاح أو المتأهّب لإطلاق صاروخ.

لعلّ الفرصة الأهمّ التي فوتتها "حماس" على الشعب الفلسطيني كانت في آب – أغسطس من العام 2005 عندما انسحبت إسرائيل من كلّ قطاع غزّة. بدل أن تساعد "حماس" في إقامة نواة لدولة فلسطينية مسالمة بعد انسحاب الاحتلال، سارعت إلى اعتبار غزّة أرضا "محرّرة" يجب الإنطلاق منها لتحرير كلّ فلسطين. الأكيد أن السلطة الوطنية لم تكن في تلك المرحلة في مستوى الحدث. لم تدر ما الذي عليها عمله بعد الانسحاب الإسرائيلي. هذا الأمر سهّل على "حماس" مهمّتها إلى حد كبير وصولا إلى تنفيذ انقلابها منتصف العام 2007. لم يكن من هدف لهذا الانقلاب سوى الوصول إلى الوضع الراهن. هناك إمارة إسلاميّة في غزّة على طريقة طالبان. ليس العداء لـ"الكريسماس" سوى رمز من رموز هذه الإمارة في ظلّ حصار إسرائيلي ورغبة لـ"حماس" في استمرار هذا الحصار.

من خلال عدائها للفلسطينيين المسيحيين ظهرت «حماس» أخيرا على حقيقتها فكلّ ما تريده هو بقاء إمارتها الطالبانية في غزّة إلى ما لا نهاية على أمل أن تعمّ التجربة الضفّة الغربية يوما

كان في الإمكان تحويل غزّة إلى منطقة مزدهرة. كان في الإمكان مواجهة الحجة غير المنطقية الإسرائيلية عن غياب المحاور الفلسطيني، لكنّها أصرّت على استكمال مشروعها القائم على تغيير طبيعة المجتمع الفلسطيني. أصرّت عمليا على تقديم كلّ الخدمات المطلوبة إسرائيليا في ظل قيادة فلسطينية تجاوزها الزمن وتجاوزتها الأحداث بعدما شاخت إلى حد كبير. لم يعد في الإمكان حاليا سوى الاعتراف بالواقع المتمثّل في أنّ "حماس" ظهرت أخيرا، من خلال عدائها للفلسطينيين المسيحيين، على حقيقتها. كلّ ما تريده هو بقاء إمارتها الطالبانية في غزّة إلى ما لا نهاية.. على أمل أن تعمّ التجربة الضفّة الغربية يوما.

ليس ما يمنع "حماس" من تحقيق طموحاتها التي تتجاوز غزّة في ظل العجز عن مواجهتها من جهة والتواطؤ الإسرائيلي مع كلّ ما تقوم به من جهة أخرى. الأكيد أنّ الشعب الفلسطيني لن يستسلم. سيظل هناك من يعمل على المحافظة على الهويّة الفلسطينية الجامعة. المؤسف أن المعركة مع "حماس" ستكون طويلة وتحتاج إلى قيادة مختلفة. متى توجد مثل هذه القيادة؟ لا جواب في الوقت الحاضر. كلّ ما يمكن قوله إن أهل غزّة في سجن كبير من دون سقف وهذا ما يدركه معظم الفلسطينيين المقيمين في الضفّة الغربية الذين عليهم خوض معركة كبيرة على جبهات عدّة. في مقدّم هذه الجبهات ومن أهمّها، جبهة السلطة الوطنيّة التي تراهن على وهم إدارة جو بايدن وهي تعرف أنّها لا تملك سوى لعب ورقة التنسيق الأمني مع إسرائيل. أمّا الجبهة الثانية التي لا تقلّ أهميّة فهي جبهة منع "حماس" من نقل كلّ تخلّفها إلى الضفّة فتهجّر ما بقي من مسيحيين فيها!